ما زال البحث في الآية السابعة عشر، وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

تكلمت في البحث السابق تفصيلاً عن هذه الأمور الثلاثة وعن ترابطها مع بعضها البعض، بقي الكلام فيما ذيلت به الآية الشريفة، وهو قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ اسم الإشارة فيما نحن فيه يصلح أن يكون راجعاً إلى الأمور الثلاثة، كما يصلح أن يكون مختصاً بالأمر الثالث، وهو الصبر، لو خلدنا وهذه الآية اسم الإشارة يصلح لكلا الاحتمالين، إن ذلك -أي: إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر- هذه الأمور الثلاثة كلها من عزم الأمور. ويحتمل أن يكون المشار إليه هو خصوص الصبر.

لكن إذا خرجنا عن هذه الآية إلى آيات مشابهة في القرآن الكريم، نجد أن الباري تبارك وتعالى في أكثر من آية وصف الصبر أنه من عزم الأمور، كما في قوله تبارك وتعالى في سورة آل عمران: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾¹ وفي سورة الشورى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾².

العلامة الطباطبائي رحمته الله يرى أن ما تقدم وما ذكر في هذه الآيات الأخرى يكون قرينة في المقام على أن الذي هو من عزم الأمور هو خصوص الصبر، دون إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بقرينة هذه الآيات التي ذكرناها.

¹ آل عمران 186

² الشورى 43

لكن يأتي إلى البال إشكال على جعل ذلك قرينة، حاصل هذا الإشكال: أن تلك الآيات الأخرى لو كانت هكذا: "اصبر فإن ذلك من عزم الأمور" لكننا حينئذ نقول: إن الذي من عزم الأمور هو الصبر، أما الآيات الأخرى لم تكن هكذا، جمعت مع الصبر شيئاً آخر، في سورة آل عمران جمعت مع الصبر التقوى، وفي سورة الشورى جمعت مع الصبر المسامحة والغفران، فيأتي الكلام أيضاً في تلك الآيات، وهو أن اسم الإشارة هل يرجع إلى خصوص الصبر أو إلى الصبر والتقوى، التقوى هنا باعتبار أن الباري تبارك وتعالى عبر عنها بصيغة الفعل، فلا يراد منها الملكة، وإنما يراد منها الأفعال الموجبة للتقوى، ومن أهم الأفعال الموجبة للتقوى، هي إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففي المقام نخالف العلامة الطباطبائي رحمته الله، ونرى أنه لا مانع من رجوع اسم الإشارة إلى تمام ما تقدم من أمور ثلاثة، بل هو المتعين بقرينة ما تقدم في سورة آل عمران.

إذن خلاصة البحث: لو كانت الآيات الأخرى فقط ذكرت الصبر، وعبرت عنه بقولها إن ذلك من عزم الأمور، كنا نلتزم ونقول الحق مع العلامة الطباطبائي رحمته الله، الذي هو من عزم الأمور خصوص الصبر، لكن الآيات الأخرى ذكرت مع الصبر أمراً آخر.

إن قلت: إن اختلاف الآيات الثلاث في من ضم إلى الصبر، يعين أن الذي هو من عزم الأمور، هو خصوص الصبر، لنفترض في هذه الغرفة يوجد رائحة طيبة، كل ما خرج شخص وجاء غيره تبقى هذه الرائحة الطيبة، لكن هناك شخص لوحده في هذه الغرفة لم يخرج، فنقول لا محالة هذه الرائحة الطيبة من هذا الشخص الذي لم يخرج؛ لأن غيره تبادل وبقيت الرائحة الطيبة، فيما نحن فيه قد يقال دفاعاً عن العلامة الطباطبائي رحمته الله أن الصبر في هذه الآيات الثلاث هو المشترك، أما غيره فقد تغير، في سورة آل عمران التقوى، في سورة الشورى التسامح والغفران، وفي سورة لقمان إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالشيء المشترك بين هذه الآيات الثلاث ليس إلا الصبر، فلا بد أن يكون اسم الإشارة يرجع إلى الصبر.

قلت: أن هذا صحيح، لولا أن التقوى تصدق على إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن التقوى في سورة آل عمران قريبة من اسم الإشارة بخلاف الصبر،

فكل ذلك يكون مؤيداً لما ذكرته، من أن مرجع اسم الإشارة وأن المشار إليه هو تمام ما ذكر في هذه الآية المباركة.

الآية الثامنة عشر، قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾

بداية تناول بعض المفردات في هذه الآية، ثم أتكلم عن التفسير السياقي والمجموعي، الشيء الذي وقع فيه البحث قوله: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾ طبعاً هذه الكلمة قرأت بقراءتين عند القراء السبعة، قراءة ﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾ وقراءة ﴿ولا تصاعر﴾ والمعنى فيهما واحد.

بحسب تباعي السريع وجدت قولين في تفسير التصعير:

القول الأول: ما عليه عموم المفسرين، وهو أن المقصود إمالة الرأس والرقبة، يعني تكون تتكلم مع شخص أو يتكلم معك شخص، فتعرض بوجهك وبرقتك عنه، قرينة على ترفعه عليه، وعلى تكبرك عليه. عموم المفسرين فسروا الآية بهذا المعنى.

القول الثاني: ولم أجده، ولكن ربما يكون عند آخرين، بحسب التبع السريع لم أجده، سوى في التفسير المنسوب لعلي ابن إبراهيم القمي، وهي أنه ﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾ يعني لا تطأئ مذلة³، فتكون الآية جمعت بين المذلة والتكبر ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ فجمعت أن لا تكون ذليلاً للغير، وأن لا تكون متفاخراً على الغير، بينما على التفسير الأول، الشق الأول والشق الثاني من الرواية متقاربان بحسب المعنى، لم أجد هذا التفسير سوى في تفسير القمي. طبعاً، ولم ينسبه إلى رواية، يعني في تفسير للقمي ما المذكور أنه هذا رواية عن معصوم، لو كانت رواية كان الإنسان يتوقف عندها، لكن تعرفون حال تفسير القمي، تفسير القمي الذي وصل إلينا فيه مجموعة من المشاكل، منها أننا لا نلتزم بأن تمام ما في هذا التفسير هو لعلي ابن إبراهيم، بل يوجد قرائن واضحة أنه في شيء لعلي ابن إبراهيم، وفي شيء لغيره، في كثير من الأحيان يقول: ورجعنا إلى تفسير علي ابن إبراهيم، لو كان كله لعلي ابن إبراهيم متى خرجنا منه حتى نرجع. إذن هذه قرينة واضحة على أن التفسير ليس بأجمعه

³ تفسير القمي، ج2، ص: 165

لعلي ابن إبراهيم، مضافاً إلى أن الراوي للتفسير مجهول، أبو العباس ليس له ذكر، فضلاً عن التوثيق في كتب الرجال، هذه مشكلة يواجهها تفسير علي بن إبراهيم. نعم، الروايات الموجودة فيه تصلح تكون مؤيداً، أما أن يعتمد عليها في نظرية أو في حكم شرعي لوحده لا يكفي ذلك، خلافاً للسيد الخوئي رحمته الله.

على كل تقدير العلامة الطباطبائي رحمته الله هنا يرجح قول عموم المفسرين، ويقول: لدينا قرينة على أن تفسير ﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾ يعني لا تدلل نفسك، ليس صحيحاً، يقول: هو ذيل الآية، وهو قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ لو كانت الآية تتكلم عن الذليل والفخور، كان ينبغي أن يقول: إن الله لا يحب كل ذليل فخور، لا أن يقول: ﴿مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

هذه قرينة لا بأس بها، وإن لم تكن قوية، إذ يمكن أن يكون هذا التذييل ناظر إلى الشق الثاني، ووسع فيه إلى الفخر وإلى التكبر على الآخر، هذا ممكن، لكن تصلح مؤيد.

لكن في الواقع عندنا رواية، هذه لم ينقلها العلامة رحمته الله، هذه الرواية وردت في كتاب الكافي، عن أبي عبد الله عليه السلام بسند لا بأس به: عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغِيرَةَ وَمُحَمَّدِ بْنِ سَنَانَ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع فِي هَذِهِ الْآيَةِ - وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ قَالَ: لِيَكُنِ النَّاسُ عِنْدَكَ فِي الْعِلْمِ سَوَاءً⁴.

باعتبار أن هذه الوصية هي وصية لقمان لابنه، وقبل ذلك أمره أوصاه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تعرفون أن من أبرز مصاديق تعليم الغير هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذه من أبرز التعليم، يقول في هذه العملية فليكن الجميع عندك على حد سواء، وهذه من آداب المستفيد والمفيد، يعني كيف على نحو سواء؟ مثلاً الآن أدرس وأعلم وانظر فقط إلى هذا الاتجاه، إذا أحد تكلم من هذا الاتجاه لا التفت إليه، يقول: في عملية التعليم ينبغي أن يكون الجميع عندك على حد سواء، فلا تتكبر على أحد، فإذن هذه الرواية تؤيد التفسير الذي عليه عموم المفسرين. هذا ما يرتبط بمفردة ﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾ أما البحث التفصيلي في الآية يأتي عليه الكلام.